عقدة ٤ فبراير

- عندما اقتحم السفير البريطانى مكتب فاروق وطلب إليه التنازل عن العرش.
- قال الملك لفريدة يوم ٤ فبراير: ستعجبين لرد فعل الشعب.
- شيخ الأزهر يعلن أن مصر لن تدخل حربا لا ناقة لها فيها ولا جمل.
- مصطفى النحاس: من أجل مصر وقعت المعاهدة ومن أجل مصر أطالبكم بإلغائها.
- حسن صبرى سقط ميتا وهو يلقى خطاب العرش أمام البرلمان.

تنبأ البريطانيون منذ عام ١٩٣٥ بأن مصر بموقعها الاستراتيجى سوف تكون ميدانا هاما من الميادين الرئيسية فى الحرب التى تدور بينهم وبين الألمان.

ولما كان الملك فؤاد قد سبق له إلغاء الدستور فإنهم عرضوا عليه ملحين ضرورة إعادة هذا الدستور حتى يبدو أن البلاد تُحكمْ سليما وحتى يتسنى إجراء انتخابات برلمانية تأتى بحزب الأغلبية برياسة مصطفى النحاس باشا إلى الحكم.

ولم يكن فى الواقع حبا لمصر وإنما حبا لمصالحهم وهدفهم فى وجود حكومة تستند إلى غالبية شعبية يستطيعون أن يعقدوا معها معاهدة تحالف وصداقة تضمن لهم فى الحرب القادمة التى يتوقعونها كل التسهيلات الحربية وسبل المواصلات التى كانوا يتمتعون بها من خلال موقع مصر.

وبالفعل تم ما كانوا يسعون إليه وجرت انتخابات برلمانية فاز بها الوفد كما كان متوقعا. وإثر عودة الوفد فى عام ١٩٣٦ عقد مع انجلترا معاهدة تحالف وتصادق وهى المعاهدة التى ألغاها الوفد أيضا فى أكتوبر ١٩٥١ بعد ١٥ عاما وقال مصطفى النحاس يومها عبارته الشهيرة وهو يعرض مشروع إلغاء هذه المعاهد على البرلمان «من أجل مصر وقعت معاهدة ١٩٣٦، ومن أجل مصر أطالبكم اليوم بإلغائها».

كان من أهم ما تضمنته معاهدة ١٩٣٦ انتقال القوات العسكرية البريطانية من الأماكن التى تحتلها فى ذلك الوقت إلى منطقة قناة السويس بشرط ألا يتم هذا الانتقال إلا بعد أن تقوم مصر ببناء الثكنات والمنشآت الصالحة وفقا لاحدث النظم لاقامة القوات البرية والجوية وعددها عشرة آلاف جندى و٤٠٠ طيار و٤٠٠ مستخدم مدنى.

كما قضت أيضا المعاهدة بإنشاء عدة طرق جديدة منها طريق بورسعيد الاسماعيلية السويس وهو الطريق الذى ظل مدونا مدة سنوات طويلة باسم طريق المعاهدة.

وقد استثنت من عملية الانتقال القوات البريطانية الموجودة فى الإسكندرية وضواحيها ونص على أن تبقى هذه القوات هناك ثمانى سنوات من تاريخ البدء بتنفيذ المعاهدة.

حسين سرى رئيسا للوزارة

وكمـا ذكرت من قبل فلقد كانت حكومة الوفد فـى الحكم عند وفاة فؤاد، وعقب ذلك عاد فـاروق الـذى كان فى الخارج وتـولى مجلس الوصاية الحكم فترة شـهور قليلة إلى أن جاءت الفتوى بتولى فاروق سلطات الملك عند بلوغ سن الثامنة عشرة هجرية.

ولم يسـتطع الوفد أن يعمل مع فاروق طويلا، وكانت الإقالة الشهيرة بالغة الوقاحة التى وجهها فاروق قبل أن يبلغ سن الثامنة عشرة من عمره إلى رئيس أقوى حزب فى مصر.

وعندما قامت الحرب بين انجلترا وحليفاتها من جهة، وألمانيا وإيطاليا من جهة أخرى، كانت إيطاليا تحتل ليبيا المجاورة لمصر وتهدد مواصلات انجلترا فى البحر الأبيض المتوسط.

وفـى خلال ذلك كان على ماهر قد عاد إلى موقعه رئيسـا لديوان الملك وهو الذى أوضح له طريق إقالة النحاس، ولكن على ماهر كان يطمح فى الوصول إلى رئاسـة الوزارة، وقد حاول ذلك بالفعل، ولكن «فاروق» اختار لرئاسة الوزارة صهره حسين باشا سرى وكان مهندسا.

أزمة بسبب خطبة!!

أخذت القوات الألمانية تجتاح أوربا، واحتلت بلجيكا وهولندا وفرنسا. وتحطمت القوات الانجليزية فى دنكرك، واسـتولت إيطاليا على أريتريـا والصومال، ودخلت اليابان الحرب واستولت على ماليزيا وبورما وسنغافورة. ولم يبق مجال للشك فى خاطر على ماهر مستشار الملك فى أن الحرب وشـيكة الانتهاء بانتصار محور ألمانيا - إيطاليا على انجلترا وحلفائها. وكانت ميول الملك فاروق واضحة وكان يردد فى النوادى التى يرتادها ملاحظات كلها سخرية من بريطانيا وحلفائها. وزاد الأمر سـوءا أنه كان بالقصر حاشـية كبيرة من الايطاليين قيل إنهم يعملون جواسـيس للمحور، ويرسـلون رسائل لاسلكية بالشـفرة إلى إيطاليا عن مواقع قـوات الحلفاء وتحركاتها. وقد طلبت الحكومـة البريطانية من الملك فاروق إبعاد الايطاليين عـن القصر، لكنه رفض وازدادت بذلك العلاقة معهم سـوءا. ولكـن كانت هناك أيضا وجهة نظر أخرى من رجال بارزين ذوى نفوذ لهم كلمة مسـموعة لدى القصر. هؤلاء الرجال كانوا يرون أن الوقت قد حان لمطالبة الحكومة البريطانية بأن تعلن رسمياً الاعتراف باستقلال مصر على أثر انتهاء الحرب، وجلاء القوات البريطانية عنها، وقام شـيخ الأزهر فى ذلك الوقت الشـيخ مصطفى المراغى (والدى) بأول حملة إذ أعلن مـن منبر الأزهر عقب صلاة الجمعة أن مصر لا تسـتطيع الدخول فى حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل. وطلب أن تعلن القاهرة مدينة مفتوحة لكثرة الأماكن المقدسة فيها، فلا تغير عليها طائرات المحور.

ولقد استجاب المحور فوراً لذلك النداء، وأعلن راديو برلين وبارى موافقة الحكومتين الألمانية والايطالية على جعل القاهرة مدينة مفتوحة، وفى اعتقادى، أنه وإن كان المحور قد تلقى كسباً سياسياً من هذا الاعلان، إلا أن تصديقها كان يعد سذاجة تامة، فقد كانت القاهرة المركز الرئيسى لتلقى الإمدادات العسكرية التى تصل إلى ميناء السويس تفاديا من دخول قوافل التموين البحر الأبيض المتوسط. وكانت محطة القاهرة تتلقى ليل نهار القطارات الناقلة للدبابات والمدافع والذخائر والمؤن، وترسلها إلى جهة القتال فى الصحراء الغربية. ولو أن محطة سكة حديد القاهرة ضربت وعطلت للاقى البريطانيون عناء شديدا من تمويل جيش الصحراء الغربية، وعلى رغم كل ذلك ذهب السفير البريطانى مايلر لامبسون إلى رئيس الوزراء سرى باشا يحتج على خطبة شيخ الأزهر وطلب رئيس الوزراء مقابلة شيخ الأزهر وعاتبه على الخطبة التى قيلت من دون عرضها على الحكومة المصرية، ودار بينهما الحوار التالى:

قال حسين سرى: يا سيدنا الشيخ، هل تعلم أن السفير البريطانى حضر اليوم إلىَّ محتجا على خطابك فى الجامع الأزهر؟

قال شيخ الأزهر: لا أعلم ولكن لمَ يحتج؟

قال رئيس الوزراء: لأنك قلتَ: إن مصر يجب ألا تدخل فى حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل.

يطلب إليه الاستقالة

قال شيخ الأزهر: وماذا كان ردك عليه؟

قال رئيس الوزراء: قلت له إنى سأستوضحك عن هذا الخطاب.

قال شيخ الأزهر: اسمع يا سرى باشا. إنك مارست السياسة منذ عهد قريب جدا ولم تعركها وتسبر أغوارها. ولكن بدل أن تقول للسفير البريطانى إنك ستستوضحنى، أما كان الأولى بك أن تقول له باسم الحكومة المصرية إن مصر لا مصلحة لها فى إعلان الحرب على المحور من غير إعطائها تعهدا صريحاً بالاستقلال عن بريطانيا ووعداً بجلاء القوات البريطانية.

قال رئيس الوزراء: يا سيدنا الشيخ، أنت تعلم أن الحلفاء فى مأزق، وهم فى حالة تقرب من الهزيمة. فهل من اللياقة والإنسانية أن نحرجهم. وهم فى هذه الحالة السيئة؟

قال شيخ الأزهر: قلت لك إنك لم تعرك السياسة.

قال رئيس الوزراء: إننى لا أسمح بهذا الكلام.

قال شيخ الأزهر: تسمح أو لا تسمح سيان. يجب أن أقول لك إن السياسى الذى فى يده مصير أمة يجب ألا يكون عاطفيا يرعى شعور المحتل الذى يجثم على صدره، وإنما يجب أن يكون واقعياً ينتهز الفرصة الملائمة ليحصل على ما يريد لأمته، بل ليحصل على أقصى ما يمكن. إن البريطانيين حين كانوا أقوياء طالبناهم مرارا باستقلال مصر باسم العدالة وحرية الشعوب، فلم يأبهوا لنا ولم يعطونا شيئا. وهذه الآن هى الفرصة الوحيدة التى يجب الضرب فيها على الحديد الساخن للحصول على استقلالنا. اذهب اليوم إلى السفير البريطانى واطلب منه تعهدا باستقلال مصر، فإذا أعطاك إياه فقل لى، وستجدنى ذاهبا إلى الجامع الأزهر واقفا على منبره لأقول للمصلين وشعب مصر: إن لنا فى هذه الحرب ألف ناقة وألف جمل، وادخلوها على بركة الله.

قال حسين سرى: إننى لا أستطيع أن أطلب منه ذلك.

قال الشيخ المراغى: وماذا تريد منى إذن؟

قال رئيس الوزراء: أن تنفى أنك تريد إحراج الإنجليز.

قال شيخ الأزهر: وهو يقوم من مقعده ويتكىء على عصاه: لن أفعل ذلك أبدا، وإذا أردت أن تقيلنى من وظيفتى فافعل، ولكن لى نصيحة لك، وهى أن تترك رئاسة الحكومة لشخص يستطيع أن يطلب التعهد من بريطانيا بإعطاء مصر استقلالها.

واستقال حسين سرى بالفعل، وبدت الفرصة كبيرة لعلى ماهر الطامع فى رئاسة الوزارة فشكل وعين صالح باشا حرب وزيرا للحربية وكان يكره بريطانيا، وقام بتصرفات أثارت ثائرتهم.

منذ أقال فاروق مصطفى النحاس فى ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ وحتى فبراير ١٩٤٢ تعاقب على الوزارة أربعة رؤساء هم محمد محمود باشا (من ديسمبر ٣٧ إلى أغسطس ٣٩)، ثم على ماهر (من أغسطس ٣٩ إلى يونيو ٤٠) ثم حسن صبرى (من يونيو ٤٠ إلى نوفمبر من نفس العام)، ثم حسين سرى (من نوفمبر ٤٠ إلى فبراير ٤٢).

والملاحظ أن حسن صبرى لم يستمر غير حوالى خمسة أشهر وذلك بسبب النهاية الدرامية التى انتهت بها حياته، فقد حدث يوم ١٤ نوفمبر ١٩٤٠ وفى أثناء افتتاح دورة البرلمان وفى حضور فاروق، وأثناء قيام حسن صبرى بتلاوة خطبة العرش تلجلج لسانه وبدا عليه الإجهاد فتوقف عن إلقاء الخطاب، وحاول الجلوس لكنه لم يستطع وسقط على الأرض مغشيا عليه. وبسرعة تم نقله إلى حجرة رئيس المجلس لكنه فارق الحياة.

كانت الصدمة بالغة ولكن تم التغلب عليها وقام رئيس البرلمان محمد محمود بإكمال الخطبة..

تقدم يا روميل..

كانت المعارك بين القوات الانجليزية وقوات المحور فى الصحراء الغربية فى ذلك الوقت على أشدها وقد بدأت تسير فى غير صالح الانجليز.

وكانت مصر اعتبارا من نهاية عام ١٩٤٠ قد بدأت تعيش حالة حرب وتتعرض للغارات الجوية التى اشتدت على مدينة الإسكندرية والقاهرة وقد اضطر الألوف للهرب منهما إلى الريف فى الوقت الذى قامت فيه الحكومة بإنشاء عدد كبير من المخابئ فى القاهرة والاسكندرية ليلجأ إليها المواطنون عند الغارات. ولأن الموقف العسكرى قد بدأ يتطور لصالح قوات الألمان بقيادة روميل فقد شهدت القاهرة فى الأسبوع الأخير من يناير ٤٢ مظاهرات نادى فيها المتظاهرون بسقوط الإنجليز وترددت هتافات تعلن: تقدم يا روميل.. تقدم يا روميل. ولم تكن هذه النداءات حبا فى روميل أو الألمان وإنما كراهية الذين يحتلون مصر والذين بسببهم واجهت البلاد حالة الحرب والغارات.

النحاس يرفض

أزعجت هذه المظاهرات الإنجليز، وقرروا اتخاذ إجراءات تؤمن لهم ظهرهم فى داخل مصر. وانتهى رأيهم إلى إسناد تشكيل الوزارة إلى رئيس وزراء له أغلبية شعبية تحبه الجماهير حتى تستقطب مشاعرهم المشتتة.

وبالطبع لم يكن هناك من يملك هذا غير مصطفى النحاس رئيس حزب الوفد.

وقام السفير البريطانى سيرمايلز لامبسون (وقد اشتهر باسم لورد كليون) بإبلاغ فاروق رغبة بلاده فى أن يتولى النحاس رئاسة الوزراء. وفى يوم ٣ فبراير ١٩٤٢ استدعى فاروق النحاس على أساس أن يطلب منه تشكيل الوزارة ولكنه بدلا من أن يطلب إليه رئاسة وزارة وفدية فإنه طلب إليه تشكيل حكومة ائتلافية تضم مجموعة الأحزاب الموجودة فى ذلك الوقت، ولكن النحاس رفض عرض فاروق وخرج من القصر معلناً رفضه أن يرأس وزارة تضم عناصر غير وفدية.

وفى اليوم التالى استدعى السفير البريطانى رئيس الديوان الملكى أحمد حسنين وسلمه إنذاراً جاء فيه «إذا لم أسمع قبل الساعة السادسة مساء أن النحاس باشا قد دعى لتأليف وزارة فإن جلالة الملك فاروق يجب أن يتحمل ما يترتب على ذلك من نتائج».

لم يحـدد الإنجليز فى الإنـذار ما إذا كانت الوزارة وفديـة أم لا، وإنما ذكروا فقط كلمة «وزارة» فالمهم هو أن يكون النحاس رئيس هذه الوزارة.

وأمام هذا الإنذار اسـتدعى الملك رؤسـاء الأحزاب وكبار الشـخصيات السياسية لاجتماع تم فى السـاعة الرابعة مسـاء نفس اليوم (الأربعاء ٤ فبراير) وعرض عليهم الإنذار فأعلنوا احتجاجهم وطلبوا إلى النحاس باشـا الـذى كان حاضراً الاجتماع قبول تأليف وزارة قومية، ولكنه أصر على موقفه بعدم قبول تشـكيل أيـة وزارة غير وفدية. فما كان منهم إلا أن كتبوا احتجاجا أعلنوا فيه أن توجيه الإنذار البريطانى إلى فاروق يمثل اعتداء على استقلال البلاد، وأنه يجب على الملك ألا يقبل ما يمس استقلال البلاد.

يقتحم مكتب الملك

حمل أحمد حسـنين باشـا رئيس الديوان نص الاحتجاج إلى السـفير البريطانى فأجابه السـفير بعد أن نظر إليه بأنه لا يعتبر ذلك رداً، وأنه سـيحضر بنفسـه لمقابلة الملك فى تمام التاسعة مساء.

وقبـل دقائق من وصول السـفير البريطانى اخترق شـوارع القاهرة طابور مـن الدبابات البريطانية اتجهت إلى ميدان عابدين -حيث يقيم فاروق- وأحاطت بالقصر.

ومن بـين الدبابات التى تولت عمليـة الحصار اقتحمت دبابة أحد أبـواب القصر المغلق وخلعته، وانساب وراءها عدد آخر من الدبابات أخذت مكانها داخل فناء القصر.

وبعد قليل دخلت من البوابة المخلوعة عربة السـفير البريطانى مسـتر مايلز لامبسـون يصحبه مستر ليتلتون وزير الدولة البريطانى والجنرال ستون قائد القوات البريطانية.

وبسرعة بالغة انطلق الثلاثة إلى حيث مكتب الملك، وبقدمه اليمنى ضرب السفير البريطانى باب غرفة المكتب فى عملية اقتحام واضحة.

أرجوك: أعطينى فرصة أخرى

كان فـاروق واقفا فى الحجرة يطل من نافذة على فناء القصر يشـاهد تحركات الدبابات.. وعلى صوت الباب الذى اقتحمه السـفير البريطانى وضربه بقدمه التفت فاروق ليجد مسـتر لامبسون يتقدم نحوه قائلا:

- لقـد كلفتنـى الحكومة البريطانيـة أن أطلب منك التخلى عن العـرش فوراً وأن تجمع حقائبك للسفر.

قال فاروق فى خوف: إلى أين؟

قال السفير: جنوب أفريقيا..!

كان فاروق فى ذلك الوقت فى سن الثالثة والعشرين .. وقد فوجئ بما حدث، بل لعله صعق لهول المفاجأة وانعقد لسانه، ومضت لحظات صمت لم يستطع أن يقول فيها شيئاً، وأخيرا نظر إلى السفير البريطانى قائلا:

– سير مايلز لامبسون، إننى مستعد لاقالة على ماهر وسأجمع الزعماء المصريين على الفور لاختيار رئيس جديد للوزارة.

قال لامبسون بكل كبرياء:

– إن المسألة الآن ليست مسألة تعيين رئيس وزراء، إنها مسألة تخليك عن العرش..

عاد الملك فاروق إلى الصمت .. وأخذ ينظر إلى رئيس ديوانه أحمد حسنين متوسلا إليه أن يجيبه، ولكن هذا الأخير ظل صامتا..

وبعد نحو دقيقة نظر فاروق إلى مستر لامبسون فى توسل بالغ يقول له:

– سير لامبسون – إننى أرجو التنازل عن طلب التخلى عن العرش، وأن تعطينى فرصة أخرى، وسأجيب جميع طلباتك.

قال لامبسون: لا .. ليس هناك فرصة أخرى يجب أن توقع الآن ورقة التنازل عن العرش.

وظل فاروق واجما.. ومرت عليه لحظة رهيبة لم يلاحظ فيها أن المستر ليتلتون تقدم نحو السفير وأخذ بيده إلى ركن من الحجرة وتبادلا الكلام همسا..

وكما أصبح معروفا فإن ليتلتون أمام مشهد فاروق طلب إلى السفير البريطانى إعطاء فاروق فرصة أخرى مادام سيجيب طلباته. وأجابه مستر لامبسون بأن مثل هذا القرار يجب أن يعود فيه إلى رئيس وزراء بريطانيا مستر تشرشل الذى كان واضحا أنه طلب إلى السفير إقصاء فاروق عن العرش.

وتم الاتفاق بين السفير والوزير البريطانى على إرسال برقية لرئيس الوزراء تشرشل..

وجاءت موافقة تشرشل مؤيدة رأى ليتلتون..

ونجا فاروق من التنازل عن العرش وعين النحاس رئيسا للوزارة وفى نفس اليوم ذهب فاروق إلى زوجته الملكة فريدة فروى لها ما جرى مع السفير البريطانى .. وأخذ يبكى بكاء شديداً.

قالت له الملكة: خلاص .. لم يعد لنا مجال للبقاء فى مصر وخير لنا أن نرحل عنها.

قـال فاروق: أبـداً.. إنك سـوف ترَيْن غداً كيف سـتكون ثورة الشـعب ومظاهراته ضد الإنجليز..

وعندمـا جاء الغد فوجئ فاروق بقيام المظاهرات .. ولكنها بدلا من أن تثور على الإنجليز راحت تهتف بحياة النحاس وحياة مستر لامبسون..

وعندما ذهب السفير البريطانى إلى مجلس الوزراء لتهنئة النحاس باشا حمله المتظاهرون على الأكتاف!!

عقدة ٤ فبراير وفاروق

ولدت حادثة ٤ فبراير فى نفس فاروق إحساسا بالغ الأثر، وتركت فى قلبه جرحا عميقا وكراهية مثلثه الأطراف ..

- كراهية نحو الإنجليز الذين أهانوه وجعلوه يتوسل إليهم لإبقائه فوق العرش.
- وكراهية نحو الشعب المصرى الذى كان ينتظر أن يهب لمساعدته ولكنه يهتف للسفير البريطانى الذى أهانه ويحمله على الاكتاف.
- وكراهيـة نحـو مصطفى النحاس الـذى كان يتوقـع أن يرفض قبول رئاسـة الوزارة ويحرج الإنجليز، ولكن النحاس لم يكن قد نسـى الجرح الكبير الذى وجهه له فاروق عندما أقالـه بخطاب وقح قبل ٦ سـنوات، وقد جاءته الفرصة لرد اللطمـة إلى فاروق ولم يتردد فى انتهازها.

وقرر فاروق أن ينتقم وأن يكون انتقامه على طريقة أسـلافه من الأسـرة العلوية.. بالدم، وليس بغير الدم.. ووضع فاروق بنفسه قائمة الدم، وحدد على رأسها سحق:

- مصطفى النحاس.
- وأمين عثمان..

أما مصطفى النحاس فأمره معروف، وعداؤه له أسبابه واضحة.. أما أمين عثمان فإنه كان موظفا كبيرا فى وزارة المالية..

وقد كانت له علاقة وثيقة بالسفارة البريطانية تعود إلى فترة الدراسة عندما كان طالباً فى كلية فيكتوريا بالإسكندرية التى تخرج منها.

وقد ظل همزة الوصل بين الوفد والسـفارة البريطانية وقام بدور كبير فى إقالة على ماهر وإعادة النحاس إلى الحكم.. وقد اختاره النحاس وزيرا للمالية.

وبذلك وصفه الملك فاروق فى قائمة الذين سوف يحاربهم بالدم ..!

١ – الملك فاروق .

٢ – حديث بين الملك فاروق وعلى ماهر، عندما شكل الوزارة الوحيدة فى بداية حكم الملك .

٣ – مصطفى باشا النحاس رئيس الوزراء وقتئذ يتحدث إلى الصحفيين فى بوكلى بالإسكندرية ووقف إلى جواره سعيد سنبل صيف عام ١٩٥١ .

٤ – حسين سرى باشا صهر الملك فاروق فاز بالوزارة بعد أن أعدها على ماهر لنفسه .

٥ – حسن صبرى باشا سقط ميتا وهو يلقى خطاب العرش أمام البرلمان .

٦ – أحمد حسنين باشا تسلم الإنذار البريطانى بضرورة تنفيذ رغبة بريطانيا قبل السادسة مساء .

٧ - من اليمين إسماعيل تيمور كبير الأمناء، عمر فتحي، حيدر باشا ، والشيخ المراغى يتوسطهم فاروق بمسبحته التى كانت تلازمه دائما عقب أدائه فريضة الحج .